مركز النخب العلمية
العلمُ حياة

نخب
NOKHAB

إصداراتنا رقم (8)

حينما يعتكفُ القلبُ

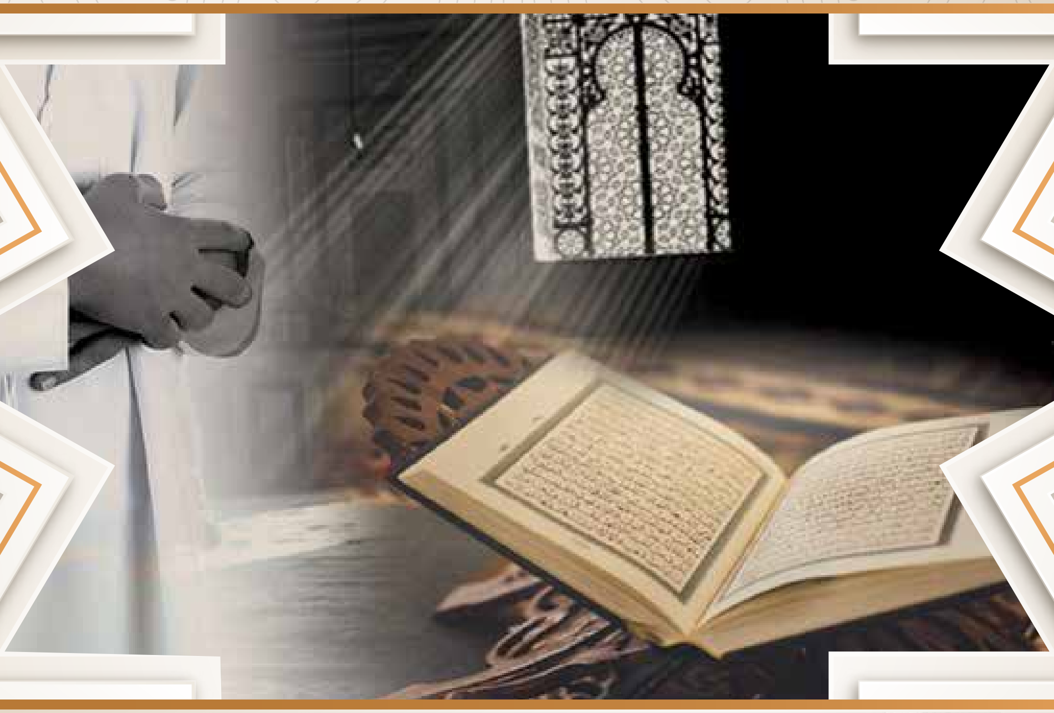

د/ عبدالرحمن بن عبدالعزيز العقل

الأستاذ المشارك بقسم السنة - كلية الشريعة جامعة القصيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله الذي جعلَ محل نظره القلوب لا الأبدان، والصلاةُ والسلامُ الأتمَّان الأكملان على نبيِّنا محمد سيِّد ولد عدنان، وعلى آله وصحبه ذوي التقى والإيمان.

أما بعد:

فكثيرٌ أولئك الذين لا يسبقُ إلى أذهانهم حينما يسمعون كلمةَ (الاعتكاف) سوى اعتكاف الجسد في بيتٍ من بيوتِ الله، فهو في مخيلتهم منحصرٌ في مفهومِ الاعتكافِ الحسيِّ، وهذا وإنْ كان مِن شرائطِ الاعتكاف إلا أنه ليس هو مقصودَه، فإنَّ مقصودَه والغايةَ منه: اعتكافُ القلب الذي هو موضع نظر الله: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»(١).

وكم مِن عبدٍ عكفَ بجسدِه في بيتِ الله، لكنه لم يصلْ إلى الاعتكافِ الذي أراده الله ﷻ؛ ولهذا علَّق اللهُ سبحانه الخيرَ الذي يُؤتيه عبدَه بالخيرِ الذي في قلبِ عبدِه، فقال سبحانه: ﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾ [الأنفال: ٧٠].

فكلما صحَّ القلبُ وتعالى على الدنيا؛ أقبلتْ مِنحُ الله وهباته عليه، والعشر الأواخر من رمضان أحرى الأيام بهذه المنح، والعاكفُ في بيتِ الله (عكوفَ قلب) حقيقٌ بذلك؛ لصدقِه وقربِه مِن الله.

ولكي يكون الاعتكافُ اعتكاف قلب لا جسد فقط، ويتذوق المُعْتكِف هذه العبادة، وتستقيم له هذه الطاعة، ويستروح روحها، ويستحضر معاني العبودية فيها؛ ينبغي له أن يتطلَّعَ إلى السِّمات التالية:

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٦) رقم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قطعُ العلائِق عن الخلائِق

إنَّ سِرَّ الاعتكاف وغايته: الخلوةُ بالله وتفريغُ القلب وقطعُ علائِقه بالخلائق؛ ولهذا كان اللائقُ بالمُعْتكِف أَنْ يكون مُنهمكًا في التَّنسُّك والعبادات الخاصة، مُقبلًا على ربِّه بتخليةِ القلب لله، والإلحاح في طلبِ رضاه، والإلحاف[1] في نيلِ مغفرتِه وعفوه، كما قال عطاء رحمه الله: «مَثَل المُعْتكِف كمثل رجلٍ له حاجةٌ إلى عظيمٍ، فجلسَ على بابِه يقول: لا أَبرحُ حتى تَقْضِي حاجتي، وكذلك المُعْتكِف يجلسُ في بَيتِ الله يقول: لا أَبْرحُ حتى يُغفَر لي»[2].

ولهذا كان المشروعُ للمُعْتكِف أَنْ يكونَ عَزوفًا عن الناس، مجافيًا لمجالسِهم، وقد نصَّ الإمامُ أحمد رحمه الله على أنه ينبغي للمُعْتكِف أَلَّا يخالطَ الناس حتى ولو كان ذلك لتعليمِ علم أو إقراء قرآن، وأنَّ الأكملَ له الانفراد والتخلي لمناجاةِ ربِّه وذكرِه ودعائِه[3].

وبنظرةِ تأمُّل، نجدُ أنَّ عبادةَ الاعتكاف اقترنت بعبادةِ الصوم؛ لأنَّ حكمةَ مشروعيتهما واحدة، وهي: إصلاح القلب بتقوى الله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة:١٨٣]، ويبلغُ العبدُ الصائمُ الذروةَ في إصلاحِ قلبه حينما يعتزل الناس، ويعتكف بقلبِه وجسدِه، خاليًا بربِّه، منطرحًا يديه، وكان مِن هدي النبي ﷺ في الاعتكاف الانفرادُ عن الناس، وكان يأمرُ

(١) الإلحاف: شدة الإلحاح في المسألة. ينظر: تهذيب اللغة (٥/ ٤٦)، لسان العرب (٩/ ٣١٤) (لحف).
(٢) ذكره السرخسي في المبسوط (٣/ ٨١٥)، وينظر: وظائف رمضان ص (٧٥).
(٣) ينظر: مدارج السالكين (١/ ٢٦٣)، وظائف رمضان ص (٦٠).

بأنْ يُضربَ له خِبَاء[1] بين في المسجدِ يلزمُه، ويخلو بربِّه، كما قالت عائشة ڤ : «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ، يَعْتَكِفُ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فَكُنْتُ أَضْرِبُ لَهُ خِبَاءً فَيُصَلِّي الصُّبْحَ ثُمَّ يَدْخُلُهُ»[2].

إنَّ جُل الطاعات وكثيرًا مِن العبادات تجتمعُ للعاكفِ المنفردِ الخالي بربِّه، وأعظم هذه العبادات وأشرفها: عبادة القلب، ولأنَّ القلبَ هو سيد الأعضاء فإنه مخصوصٌ بسيد العبادات: الإخلاص، وليس شيءٌ مِن الحالاتِ تزيدُ الإخلاصَ وتُنميه كما في حالةِ العبد المنكسر المنطرح بين يدي مولاه حين الخلوة بالله، والعكوف على طاعته؛ ولهذا فإنَّه يتذوق حلاوةَ الإيمان، ويجد له مذاقًا وطعمًا لا يُساميه أيّ مذاق، ولا يُدانيه أيُّ ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد: ٢١].

(١) الخباء: بكسر المعجمة وتخفيف الموحدة مع المد هي خيمة من وبر أو صوف، ثم أُطلقت على البيت كيف ما كان. ينظر: النهاية (٢/ ٩)، اللسان، (١٤/ ٢٢٣) (خبا).
(٢) أخرجه البخاري، (٣/ ٤٨) رقم (٢٠٣٣)، ومسلم (٢/ ٧١٥)، رقم (١١٧٢).

السِّمةُ الثانية

العيشُ مع القرآن

لُبُّ العبادةِ وحياةُ القلبِ مصدرُها الأول: كتاب الله، الذي جعله الله روحًا وحياةً ونورًا، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾[الشورى: ٥٢].

ولا غرو أنْ يجدَ المؤمنُ حياةَ قلبِه في تدبر القرآن؛ لأنَّه يتذوقُ بتلاوتِه المتأنية حلاوةَ المناجاة لكلامِ ربِّه، فيعيشُ في آفاق الآيات التي يسري رَوْحُها في خلجاتِ قلبه، فيجد حينها لقلبِه حياةً أخرى، ولقراءته لذَّةً لا يَصِفُها لسانُه، ولا تُدوِّنها أقلامُه، وذلك لعظمةِ الخطاب الرباني وروعةِ جماله الذي يَسلُبُ عقلَ المتدبرِ فترِقُّ نفسُه، ويَلُفها سكينة وخشية، فيتجلى للقلبِ مِن المعاني ما يَفيضُ نورًا وغيثًا يُضفي على القارئ جلالًا وجمالًا.

وكما أنَّ الغيثَ ربيعُ الأرضِ، فكذلك القرآن ربيع أفئدة أهل الإيمان، وهو نهر الحياة لقلوبِهم، فلا شيء أنفع للقلبِ مِن قراءةِ القرآن بالتدبر والتفكر، فهو يُورث المحبَّة والشوق والخوف والرجاء، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله، فلو علم النَّاس ما في قراءة القُرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عنْ كلِّ ما سواها، فإذا قرأه بتفكر حتى مَرَّ بآيةٍ هو محتاجٌ إليها في شفاءِ قلبه، كررها ولو مائة مرة ولو ليلة، فقراءة آية بتفكر وتفهم خيرٌ مِن قراءةِ ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب، وأدعى إلى حُصُولِ الإيمان وذوق حلاوة القرآن؛ فقراءة القرآن بالتفكر هي أصل صلاح القلب[١].

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٨٧)، بتصرف.

وهـذا ليـس لـكلِّ قـارئ للقـرآن، بـل لمـن «كان هَمُّـه عنـد التـلاوة للسـورة إذا افتتحهـا: متـى أتَّعِـظُ بـهـا أتلـوه؟ ولم يكـنْ مـراده: متـى أختـم السـورة؟، مـرادهُ: متى أعقـل عـنِ الله الخطـاب، متـى أزدجـر، متـى أعتبر؟ لأنَّ تـلاوة القـرآن عبـادة، والعبـادة لا تكـون بغفلـة»[1].

ومتـى مـا عـاش المعتكـف مـع القـرآن عـلى هـذا النحـو فقـد أحـرز عكـوف القلـب الـذي هـو بُغيـة طـلاب الاعتـكاف الحـق.

إنَّ العيـشَ مـع القـرآن وتدبـره مفتـاحُ اسـتقامة القلـب، ولا شيء يَعْـدِلُ العيـش مـع القـرآن في تثبيـتِ القلـب وإرسـاءِ دعائمـه؛ ولـذا أمـر الله «بتدبـر كتابـه، والتفكـر في معانيـه، والاهتـداء بآياتـه، وأثنـى عـلى القائمـين بذلـك، وجعلهـم في أعـلى المراتـب، ووعدهـم أَسْـنَى المواهـب، فلـو أنفـق العبـدُ جواهـرَ عُمُـرِهِ في هـذا الفـن، لم يكـنْ ذلـك كثـيرًا في جنـب مـا هـو أفضـل المطالـب، وأعظـم المقاصـد، وأصـل الأصـول كلهـا، وقاعـدة أسـاس السـعادة في الداريـن، وصـلاح أمـور الدِّيـن والدنيـا والآخـرة، وبـه يتحقـق للعبـد حيـاةٌ زاهـرة بالهـدى والخـير والرحمـة، ويُهيـئ الله لـه أطيـب الحيـاة والباقيـات الصالحـات»[2].

إنِّ الانطلاقـةَ الأولى للعيشِ مـع القـرآن تكمُـن في تدبُّـره وطـول التأمُّـل في آياته.

نعـم إنـه «ليـس شيءٌ أنفـع للعبـد في معاشـه ومعـاده، وأقـرب إلى نجاتِه مِـن تدبـر القـرآن، وإطالـة التأمُّـل فيـه، وجَمْـعِ الفكـر عـلى معـاني آياتـه، فإنهـا تُطْلِـعُ العبـد عـلى معـالم الخـير والشـر بحذافيرهمـا، وعـلى طُرُقَاتِهِـا،

(١) أخلاق حملة القرآن ص (١٨).
(٢) القواعد الحسان لتفسير القرآن ص (٧-٨).

وأسـبابهـا، وغاياتهــا، وثمراتهـــا، ومــآل أهلهـــا، وتَتُــلُّ[١] في يــده مفاتيــح كنـوز السـعادة والعلـوم النافعـة، وتُثَبِّـتُ قواعـد الإيـمان في قلبـه، وتشـيد بنيانـه وتُوَطِّـدُ أركانـه، وتُرِيهِ صـورة الدنيـا والآخـرة والجنـة والنـار في قلبـه، وتُحْـضِرُهُ بـين الأمـم، وتُرِيـهِ أيـام الله فيهـم، وتُبَـصِّرُهُ مواقـع العبر، وتُشْـهِدُهُ عـدل الله وفضلـه، وتُعَرِّفُـهُ ذاتـه، وأسـماءه وصفاتـه وأفعالـه، ومـا يُحبـه ومـا يُبغضـه، وصراطـه الموصـل إليـه، ومـا لسـالكيه بعـد الوصـول والقـدوم عليـه، وقواطـع الطريـق وآفاتهـا، وتُعَرِّفُـهُ النفـس وصفاتهـا، ومفسـدات الأعـمال ومصححاتهـا، وتعرفـه طريـق أهـل الجنـة وأهـل النـار وأعمالهـم، وأحوالهـم وسـيماهم، ومراتـب أهـل السـعادة وأهـل الشـقاوة، وأقسـام الخلـق، واجتماعهـم فيـما يجتمعـون فيـه، وافتراقهـم فيـما يفترقـون فيـه.

وفي تأمُّـل القـرآن وتدبـره، وتفهمـه، أضعـاف أضعـاف مـا ذكرنـا مـن الحِكَـم والفوائـد. وبالجملـة فهـو أعظـم الكنـوز، طِلَّسْـمُه[٢] الغـوص بالفكر إلى قـرار معانيـه»[٣].

ومِـن أنفـعِ الوسـائل المعُينـة عـلى تدبـر القـرآن: ترديـد الآيـات، فهـو السـبيل إلى اسـتدرار كنـوز القـرآن وأسراره.

عـن أبي ذر ﵁ قـال: «قَـامَ النَّبِـيُّ ﷺ بِآيَـةٍ حَتَّـى أَصْبَـحَ؛ يُرَدِّدُهَـا وَالْآيَــةُ: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١١٨﴾ [المائـدة:١١٨]»[٤].

(١) يَتُـلُّ: بضـم التـاء، مـن الفعـل (تَـلَّ)، ويقـال: يَتِـلُّ بكـسر التـاء: ومعنـاه صَبَّـه وألقـاه. يُنظـر: النهايـة في غريـب الحديـث والأثـر (١/ ١٩٥)، وتـاج العـروس (٢٨/ ١٣٨).

(٢) الطلسـم: هـو اسـم للسر المكتـوم، والمراد بذلـك المعـاني الدقيقـة التـي لا تظهـر لغـير المتعمـق في الفهـم والعلـم والتوسـم. ينظـر: تـاج العـروس (٣٣/ ٢٤، ٢٥).

(٣) مدارج السالكين (١/ ٤٥٠، ٤٥١).

(٤) أخرجـه النسـائي (٢/ ١٧٧) رقـم (١٠١٠)، وابـن ماجـه (١/ ٤٢٩) رقـم (١٣٥٠)، وأحمـد (٣٥/ ٣٠٩، ٣١٠) رقـم (٢١٣٨٨)، والحاكـم (١/ ٣٦٧) رقـم (٨٧٩)، وإسـناده حسـن.

قـال بِـشْر بـن الـسَّرِي: «إنـما الآيـة مثـل التمـرة؛ كلـما مضغتهـا اسـتخرجت حلاوتهـا»(١).

وقـال الـمُوَفَّق ابـن قدامـة: «وإنْ لم يحصـل التدبـر إلا بـترداد الآيـة، فليرددهـا»(٢).

ومـن الْـمُعِينات عـلى تدبـر القـرآن: الإقبـال عليـه، واستشـعار القـارئ أنـه مُخَاطَـبٌ بـه، فـإنَّ ذلـك مِـن دواعـي الفتوحـات فيـه.

قـال شـيخ الإسـلام رحمـه الله - مستشـعرًا مـا أفـاض اللهُ عـلى قلبِـه مِـن الفتوحـاتِ العظيمـة والاسـتنباطات البديعـة، وذلـك في أثنـاء سـجنه وخلوتـه بربِّـه، وإقبالـه التـام عـلى القـرآن-: «قـد فتـح اللهُ عـليَّ في هـذا الحصـن في هـذه المـرة مِـن معـاني القـرآن، ومِـن أصـول العلـم بأشـياء، كان كثيـرٌ مـن العلـماء يتمنونهـا، وندمـتُ عـلى تضييـع أكثـر أوقـاتي في غـير معـاني القـرآن»(٣).

وقـال تلميـذه ابـن القيـم رحمـه الله: «إذا أردتَ الانتفـاعَ بالقـرآن فاجمـع قلبـك عنـد تلاوتـه وسـماعه، وألـقِ سـمعك، واحضُـر حضـور مَـن يخاطبـه بـه مَـن تَكَلَّـمَ بـه سـبحانه منـه إليـه، فإنـه خطـابٌ منـه لـك عـلى لسـانِ رسـولِه، قـال تعـالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧ ﴾ [ق:٣٧]، وذلـك أنَّ تمـامَ التأثـير لَـمَّا كان موقوفًـا عـلى مُؤَثِّـرٍ مُقْتَـضٍ، ومَحَـلٍّ قابـلٍ، وشرطٍ لحصـول الأثـر، وانتفـاء المانـع الـذي يمنـع منـه؛ تضمنـت الآيـة بيـان ذلـك كلـه بأوجـز لفـظ وأَبْيَنِـهِ وأَدَلِّـهِ عـلى المـراد.

فـإذا حصـل الـمُؤَثِّر: وهـو القـرآن، والمحـل القابـل: وهـو القلـب الحـي، وَوُجِـدَ الـشرط: وهـو الإصغـاء، وانتفـى المانـع: وهـو اشـتغال القلـب وذهولـه عـن معنـى الخطـاب، وانصرافـه عنـه إلى شيءٍ آخـر؛ حصـلَ الأثـر: وهـو الانتفـاع والتذكـر»(٤).

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ٤٧١)..
(٢) مختصر منهاج القاصدين ص (٥٣)..
(٣) ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٥١٩)، وينظر: إتحاف القاري للدهامي ص (١١٩).
(٤) الفوائد ص (٣) مختصرًا.

إنَّ مِنَّةَ الله علينا عظيمة، حين أَذِنَ لمخلوقات ضعيفة مثلنا، أن تناجيه من خلال كلامه العظيم، قال ابن الصلاح رحمه الله: «ورد أن الملائكة لم يُعطُوا فضيلة قراءَة القُرآن، وهي حريصة لذلك على استماعه من الإنس، فإذن قراءة القُرآن كرامة أكرم الله بها الإنس، غير أن المُؤمنينَ من الجن بلغنا أنهم يقرؤونه، والله أعلم»(١).

إنَّ استحضارَ هذا الاصطفاء، واستحضارَ عظمة المتكلِّم بالقرآن، هو أقوى وسائل العيش مع القرآن، قال ابن الجوزي رحمه الله: «ينبغي لتالي القرآن العظيم أنْ ينظرَ كيف لطف الله تعالى بخلقه في إيصال معاني كلامه إلى أفهامهم، وأنْ يعلمَ أنَّ ما يقرؤه ليس مِن كلامِ البشر، وأنْ يَستحضرَ عظمة المتكلِّم سبحانه وتعالى، ويتدبر كلامه»(٢).

ومِن الـمُعِينات على تدبر القرآن والعيش معه: الفرح به، وقراءته بروح الاستبشار والشعور بالفضل، فمَن رَامَ فَهْمَ القرآن؛ فليقرأه قراءة فرح واستبشار؛ فإنَّ ذلك مِن أعظم دواعي التدبر، قال تعالى في وصفِ عبادِهِ المؤمنين: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤﴾ [التوبة: ١٢٤].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨].

قال ابن أبي حاتم رحمه الله في تفسير هذه الآية: «وذُكِرَ عنْ بَقيَّة، عنْ صفوان- يعني ابن الوليد بن عمرو- قال: سمعتُ أَيْفَع بن عبد الكَلَاعِي يقول: لَمَّا قَدِمَ خَرَاجُ العراق إلى عمر رضي الله عنه خرج عمر ومولًى له،

(٢) فتاوى ابن الصلاح (١/ ٢٣٤)، وينظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ٢٩١).
(٣) مختصر منهاج القاصدين ص (٤٦).

فجعل عمر يَعُدُّ الإبل، فإذا هو أكثر مِن ذلك، فجعل عمر يقول: الحمد لله، ويقول مولاه: يا أميرَ المؤمنين، هذا والله مِن فضلِ الله ورحمتِه. فقال عمر: كَذَبتَ ليس هذا هوا يقول الله: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس: ٥٨]. وهذا مما يجمعون»[١]

وقال أحمد بن أبي الحواري: «إني لأقرأ القرآن فأنظرُ في آيةٍ منه فيَحَارُ عقلي فيها، وأَعْجَبُ مِن حُفَّاظِ القرآن! كيف يَهنيهِمُ النوم، ويُسيغهم أنْ يشتغلوا بشيءٍ مِن الدنيا، وهم يتكلمون كلام الرحمن، أَمَا لو فهموا ما يتلون، وعرفوا حقه، وتلذذوا به، واسْتَحْلَوا المناجاة به؛ لذهبَ عنهم النوم فرحًا بما رُزِقُوا ووُفقوا»[٢].

وأنشد ذو النون المصري:

مَنَعَ القُرانُ بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ مُقَلَ الْعُيُونِ بِلَيْلِهَا لَا تَهْجَع

فَهِمُوا عَنِ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ كَلَامَهُ فَهْمًا تَذِلُّ لَهُ الرِّقَابُ وَتَخْضَعُ[٣]

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: «أهلُ الليل في ليلهم ألذُّ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببتُ البقاء في الدنيا»[٤].

وقال بعض السلف: «مساكين أهل الدنيا: خرجوا مِن الدنيا وما ذاقوا أطيبَ ما فيها. قالوا: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله، والأُنس به، والشوق إلى لقائه، والإقبال عليه، والإعراض عَمَّا سِوَاه»[٥].

وهذا الشوق والأُنس بالله والإقبال عليه، أعظمُ بواعثه العيشُ مع القرآن وتدبره والتنعم بتلاوتِه.

لقد فهم السلف الصالح هذا المعنى ووعوه؛ فأثمر ذلك لديهم

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٦٠).
(٢) أخرجه السلمي في طبقات الصوفية (ص:٩٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٠/ ٢٢).
(٣) ينظر: حلية الأولياء (٩/ ٣٦٩).
(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٩/ ٢٧٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٤/ ١٤٦).
(٥) ذكره ابن القيم في مدارج السالكين (١/ ٤٥٤)، وابن رجب في جامع العلوم والحكم (ص١٨٩)، وينظر: إتحاف القاري للدهامي ص (١٢٩-١٣٠).

هِمَمًا طامحةً لتخليةِ الذهن للقرآنِ في مواسمِ النفحات، وكان لديهم بقراءته عجائب، وكان يُسمع لهم به دَوِيٌّ كدوي النحل مِن التأثر.

إنَّ علينا جميعًا أنْ نستيقنَ أنَّ العيشَ مع القرآن وتدبره وتفهم معانيه والعمل به، هو مقصود التلاوة، كما أدرك ذلك سلفُنا الصالح.

قال الحسن البصري رحمه الله: «إنَّ مَن كان قبلكم رأوا القرآن رسائل مِن ربهم، فكانوا يتدبرونها في الليل، ويُنَفِّذُونَهَا في النهار»[1].

فأطْلِقْ لنفسك -أيها المُوفَّق- رُوحَها؛ لِتعُبَّ[2] من رياحين القرآن، وفرِّغ قلبك، وأخْلِ ذهنك للقرآن؛ كي تعيش معه فيُرفرف قلبك في قِمم السعادة، فتفوز فوزًا عظيمًا.

(١) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (١/ ٢٧٥)، وينظر: التبيان في آداب حملة القرآن ص (٢٨).
(٢) العب: شرب الماء بعنف وتتابع في الجرعات من غير مص ولا تنفس. ينظر: كتاب العين (١/ ٩٣)، جمهرة اللغة (١/ ٧٣).

جمعيةُ القلب وصدقُ إقباله

إنَّ غايـةَ الاعتـكاف ومقصـودَه: اسـتقامةُ القلـب، والقلـبُ لا يسـتقيمُ عـلى صراطِ الله إلا بإقبالِـه بكُلِّيتـه عـلى الله، ومتـى مـا انـصرفَ عـن الله وسَـبَح في أشـتاتٍ بعيـدةٍ عنـه؛ فقـد فاتـه المقصـودُ مِـن الاعتـكاف، ولـو كان الجسـدُ عاكفًـا.

ولهـذا؛ «لَمَّـا كانَ صـلاحُ القلـبِ واسـتقامتُه عـلى طريـقِ سـيرِه إلى الله تعـالى، متوقِّفًـا عـلى جَمعِيَّتـه عـلى الله، ولَـمِّ شَـعْثِه بإقبالِـه بالكُلِّيـةِ عـلى الله تعالى، فـإنَّ شـعثَ القلـبِ لا يَلُمُّـه إلا الإقبـالُ عـلى الله تعـالى، وكان فضـولُ الَطعـام والـشرابِ، وفضـولُ مخالطـة الأنـام، وفضـولُ اَلـكلام، وفضـولُ المنـام، ممـا يزيـدُهُ شَـعَثًا، ويُشـتِّتُهُ في كلِّ وادٍ، ويقْطَعُـه عـنْ سـيرِه إلَى الله تعـالى، أو يُضعِفُـه أو يَعُوقُـه ويوقفُـه؛ اقتضـتْ رحمـةُ العزيـزِ الرحيـم بعبـادِه أنْ شرعَ لهـم مِـن الصـوم مـا يُذهـبُ فضـولَ الطعـام والـشرابِ، ويسـتفرغُ مِـن القلـبِ أخـلاطَ الشـهواتِ المُعوِّقـة لـه عـنْ سـيرِه إلَى الله تعـالى، وشرعِـهِ بقـدرِ المصلحـةِ، بحيثُ ينتفـعُ بـه العبـدُ في دُنيـاه وأُخـراه، ولا يَـضُرُّه ولا يَقْطَعُـه عـنْ مصالِحـه العاجلـة والآجلـة.

وشرع لهـم الاعتـكافَ الـذي مقصـودُه وروحُـه عكـوفُ القلـبِ عـلى الله تعـالى، وجَمعيتُـه عليـه، والخلـوةُ بـه، والانقطـاعُ عـنْ الاشـتغال بالخلـق، والاَشـتغالُ بـه وحـده سـبحانه بحيـثُ يصـيرُ ذكـرُهُ وحُبُّـهُ، والإقبـالُ عليـه في محَـلِّ هُمـوم القلـب وخطراتِـه، فيسـتولي عليـه بَدَلهـا(١)، ويصـيرُ الهَـمُّ كلُّـه بـه، والخطـراتُ كلُّهـا بذكـره، والتفكـرُ في تحصيـلِ مَرَاضِيـه ومـا يُقـربُ منـه، فيصيرُ أُنسـه بـالله بـدلًا عـنْ أُنسـه بالخلـق، فيُعِـدُّه بذلـك لأُنسِـه بـه يـومَ الوحشـةِ في القبـور حـين لا أنيـسَ لـه، ولا مـا يفـرحُ بـه سـواه، فهـذا مَقصـودُ الاعتـكافِ الأعظـمِ»(٢).

(١) أي: بدل الهموم والخطرات.
(٢) زاد المعاد (٢/ ٨٢، ٨٣).

السِّمةُ الرابعة

استشعارُ مَعيَّة الله لعبده

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩] إنها آية عظيمة يَستوحي منها العبدُ المؤمنُ اطلاع الله عليه في كل تقلباتِه وأحوالِه وعباداتِه، «أي يراك في هذه العبادة العظيمة التي هي الصلاة وقت قيامك وتقلبك راكعًا وساجدًا، وخصَّها بالذِّكرِ لفضلها وشرفها؛ ولأنَّ مَن استحضر فيها قُربَ ربِّه خشعَ وذَل»[١].

وهذه الآيةُ الكريمة جاءت في آخر سورة الشعراء بعد أمْر النبي ﷺ بالإنذارِ والثبات على الحقِّ والتوكلِ على الله؛ فكأنَّ في هذا إلماحة إلى أنَّ استحضارَ مَعيَّة الله لعبدِه واطلاعه عليه حين القيام بالعبادة، هو زادٌ رُوحي يُسلي قلبَ المؤمن في طريقهِ إلى الله، ويَسُلُّ سخيمتَه، ويُجلي عنه صخب الحياة وكدرها وعذاباتها.

إنَّ استحضار هذه المعيَّة ومراقبة الله لعبده وعلمه بحاله، وإحاطته بسره وعلانيته، وقوله وعمله؛ لهو كفيلٌ بإزالةِ الغشاوة عن القلب وزوال غبار أوضار الدنيا؛ ليحل محلها الإخلاص الذي يلفه سياج الصدق مع الله وابتغاء ثوابه وعطائه الأخروي، فإنَّ مَن كان بهذه المنزلة في الرقابةِ الذاتية عند أداء العبادة لا تتطلع همته إلا إلى أعلى المنازل في الآخرة؛ لأنَّ الدنيا وحظوظها باستشعار معيَّة الله ورقابته تُصبحُ هشيمًا تذروه الرياح، وإذا غابت الرقابة أو ضعفت في قلب العبد هجمت عليه نوازع النفس هجوم الأسد الضاري على فريستهِ في يوم مسغبةٍ وغياب رقيبٍ.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص(٥٩٩).

تعظيمُ الله تعالى

إنَّ الأصـلَ في عبوديتنـا لله ﷻ أنْ تكـون قائمـة عـلى توقـيره وتعظيمـه وإجلالِـه، ورمضـانُ، وعَـشْرُهُ الفاضـلات، والاعتـكافُ؛ بوابـاتٌ مباركـةٌ لتنميـة هـذا التوقـير والتعظيـم في قلوبِنـا، وهـذه المناسبات مِـن أعظـمِ مُورِثـاتِ هـذا المطلـبِ الجليل.

قـال ابـن عبـاس رضي الله عنه في معنـى قولـه تعـالى: ﴿ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ﴾ [نـوح: ١٣]: «مـا لكـم لا تَعظِّمـونَ الله حـقَّ عظمتـه»[١]، فحـق التوقـير: التعظيم في القلـب، وحـق التعظيـم بالقلـب: الطاعـة بالجـوارح[٢].

وكلـما تدبـر المؤمـنُ آيـات القـرآن وأحاديـث السُّـنة التـي جـاء فيهـا ذكـر أسـماء الله الحسـنى وعظمتـه وجلالـه؛ انخلـع قلبُـه إجـلالًا لله وتعظيـمًا لـه، يتلـو قـول الله سـبحانه: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ ﴾ [الزُّمَـر: ٦٧]، فتنسـاب إلى قلبـه مشـاعرُ مـن تعظيـم الله وإجلالـه، مشـاعر فياضـة تسـتخرج رواسـب التعلـق بالدنيـا والإخـلاد إليهـا، فـلا يبقـى في القلـب سـكنٌ لغـير إجـلال الله.

يقـرأ قولـه سـبحانه: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩ ﴾ [الأنعـام: ٥٩]، يتأمـلُ هـذه الآيـة ويقـف عنـد معانيهـا فتسـتجيشُ في قلبـه أطيـاف الشـعور بعظمـة هـذا الـكلام وعظمـة المتكلِّـم بـه سـبحانه.

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٣/ ٦٣٤).
(٢) ينظر: روح الصيام ومعانيه، للدكتور/ عبدالعزيز كامل ص (٨٩).

إنـه «كلام الله، وقـد تجَـلَّى الله فيـه لعبـاده بصفاتـه، فتـارة يَتجَـلَّى في جلبـاب الهيبـة والعظمـة والجـلال، فتخضـع الأعنـاق، وتنكـسر النفـوس، وتخشـع الأصـوات، ويـذوب الكِـبْرُ كـما يـذوب الملـح في المـاء، وتـارة يَتجَـلَّى في صفـات الجـمال والكـمال، وهـو كـمال الأسـماء وجمـال الصفـات وجمـال الأفعـال الـدالُّ عـلى كـمال الـذات، فيسـتنفد حبُّـه مـن قلـب العبـد قـوةَ الحـب كلهـا بحـب مـا عرفـه مـن صفـات جمالـه ونعـوت كمالـه؛ فيصبـح فـؤاد عبـده فارغًـا إلا مـن محبتـه، فـإذا أراد منـه الغير أن يعلـق تلـك المحبـة بـه أبـى قلبـه وأحشـاؤه ذلـك كل الإبـاء كـما قيـل:

يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ .... وَتَأْبَى الطِّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ

فتبقـى المحبـة لـه طبعًـا لا تكلفًـا، وإذا تجـلى بصفـات الرحمـة والـبر واللطـف والإحسـان انبعثـت قـوة الرجـاء مـن العبـد وانبسـط أملـه، وقـوي طمعـه، وسـار إلى ربـه وحـادي الرجـاء يحـدو ركاب سـيره، وكلـما قـوي الرجـاء جـد في العمـل، كـما أن البـاذر كلـما قـوي طمعـه في المُغَـلِّ[1] غَلَّـق أرضـه بالبـذر، وإذا ضعـف رجـاؤه قَـصَّر في البـذر...

وإذا تجلى بصفـات العـز والكبريـاء أعطـت نفسـه المطمئنـة مـا وصلـت إليـه مـن الـذُّلّ لعظمتـه، والانكسـار لعزتـه، والخضـوع لكبريائـه، وخشـوع القلـب والجـوارح لـه، فتعلـوه السـكينة والوقـار في قلبِـه ولسـانه وجوارحـه وسَـمْتِهِ، ويذهـب طيشـه وتَوْقُـه وحدتـه.

وجمـاع ذلـك أنـه سـبحانه يتعـرف إلى العبـد بصفـات إلهيتـه تـارة، وبصفـات ربوبيتـه تـارة، فيوجـب لـه شـهود صفـات الإلهيـة المحبـة الخاصـة، والشـوق إلى لقائـه، والأُنـس والفـرح بـه والمنافسـة في قربـه، والتـودد إليـه

(١) المغلُّ أو الغَلَّة: الدَّخل الذي يُحَصَّلُ من الزرع والثمر. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٨١)، ولسان العرب (١١/ ٥٠٤).

بطاعته، واللهج بذكره، والفرار من الخلق إليه، ويصير هو وحده همه دون ما سواه، ويُوجب له شهود صفات الربوبية؛ التوكل عليه، والافتقار إليه، والاستعانة به، والذل والخضوع والانكسار له»[1].

وفي السُّنة الغراء يقرأ المؤمنُ حديثَ عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يَطْوِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»[2]، فيُقَلِّب الطرف في أسرار هذا الحديث، ويُسرح قلبه في ظلال معانيه، فيَتَملَّكُه شعور بالهيبة والإجلال لذي الجلال جل جلاله، إنها مشاعر سمو وعلو، يرتفع بها القلب إلى ذُرَى المقامات؛ جراء سطوة هذه النصوص التي تستفز القلب؛ فينبعث منه تعظيم الله وخشيته وإجلاله.

فكيف لا يكون القلب عاكفًا وقد امتلأ تعظيمًا لله جلَّ في علاه؟!، فلا ريب أنَّ القلب إذا امتلأ بذلك توصل إلى لُبِّ الاعتكاف وحقيقته.

(١) الفوائد لابن القيم ص (٦٩ - ٧٠).
(٢) أخرجه البخاري (٩/ ١٢٣) رقم (٧٤١٢)، ومسلم (٤/ ٢١٤٨) رقم (٢٧٨٨)، واللفظ له.

السِّمةُ السادسة

افتقارُ العبدِ إلى ربِّه وشعورُه بالحاجةِ إليه

إنَّ الاعتكافَ في بيتٍ مِن بيوتِ الله، اعتكاف قلب، صورة حية لمشهد ذُلِّ العبدِ وافتقارِه لمولاه، ولا تتم العبوديَّة إلا «بتكميلِ مقام الذل والانقياد، وأكملُ الخلق عبوديةً أكملُهم ذلًّا لله وانقيادًا وطاعة، والعبد ذليلٌ لمولاه الحق بِكلِّ وجه مِن وجوه الذل، فهو ذليل لعزه، وذليل لقهره، وذليل لربوبيته فيه وتصرفه، وذليل لإحسانِه إليه وإنعامه عليه»[(١)].

إنَّ العبدَ كلما انكسر بين يدي مولاه كان قريبًا مِن الله، ومِن رحمته ونصره وعطاياه، يُوفقه ويَهديه ويجبر كسر قلبه «فما أقربَ الجبر مِن هذا القلبِ المكسور! وما أدنى النصر والرحمة والرزق منه! وما أنفع هذا المشهد له وأجداه عليه! وذَرةٌ مِن هذا ونَفَسٌ منه أحبُّ إلى الله مِن طاعاتٍ أمثال الجبال مِن المُدِلِّين[(٢)] المُعجبين بأعمالِهم وعلومِهم وأحوالِهم، وأحبُّ القلوبِ إلى الله سبحانه قلبٌ قد تمكنت منه هذه الكسرة، وملكته هذه الذلة، فهو ناكسُ الرأسِ بين يدي ربِّه، لا يرفعُ رأسَه إليه حياءً وخجلًا مِن الله»[(٣)].

إنَّ الله سبحانه يُحب مِن عبدِه أنْ يكونَ منكسرًا بين يديه، ملازمًا لحالةِ الذُّل له، مفتقرًا دومًا إليه، بل إنَّ القلبَ لا تستقيمُ له حال إلا بالافتقارِ إلى الله الذي هو لُبُّ العبودية وروحُها، «فالقلبُ لا يصلح ولا يفلح، ولا يَلتذ، ولا يُسر، ولا يطيب، ولا يسكن، ولا يطمئن إلا بعبادة ربه، وحبه والإنابة إليه، ولو حصل له كل ما يلتذ به مِن المخلوقات لم

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٨٩).
(٢) الإدلال: المنُّ بالعطاء. ينظر: تهذيب اللغة (١٤/ ٤٨)، لسان العرب (١١/ ٢٤٨).
(٣) مدارج السالكين (١/ ٤٢٨).

يطمئن، ولم يسكن، إذ فيه فقر ذاتي إلى ربِّه، مِن حيث هو معبوده، ومحبوبه، ومطلوبه»[1].

وكلما تعمق شعور العبد بحاجتِه إلى الله، دفعه إلى الإنابة، واستكانة القلب، وعكوفه على محبة الله وكثرة ذكره وشكره وحمده وتمجيده والثناء عليه، وهذه سمة المؤمن في حياته، وفي سائر أوقاته، وحال بيعه وشرائه، ومع أهله وخلانه، فكيف به وهو في صلب ميدان المنافسة، وفي ليالي الرحمات، وتنزل الهبات، وهو عاكف بقلبه وجسده على طاعة ربه، حينما يصل إلى «صفاء العبودية، وعمارة السر بينه وبين الله، وخلوص الود؛ فيُصبح ويُمسي ولا هَمَّ له غير ربه، فقد قطَع همُّه بربِّه عنه جميعَ الهموم، وعطلت إراداته جميع الإرادات، ونسخت محبته له من قلبه كل محبة لسواه»[2].

إنَّ المؤمنَ حينما يتيقن حاجته إلى ربه، ويستشعر أنها أهم الضروريات، يصل إلى نقاءِ العبودية، وإلى لذةِ الخلوة بالله.

إنه حينما يستشعر فقره إلى الله، ومسيس الحاجةِ إلى التذللِ بين يديه، ويندفع إلى ذلك بصدقٍ وجمعيةِ قلب؛ سيجد عالمًا آخر مِن نعيم الأرواح، ولذة النفس، وقُرة العين، نعيمًا للعبادة «لا ينالُه الوصف، ولا يدركُه مَنْ ليس له نَصيبٌ منه، وكلُّ مَنْ كان به أقوم كان نصيبُه مِن الالتذاذِ به أعظم»[3]، «والقلبُ إذا ذاق طعم عبادة الله والإخلاص له، لم يكنْ عنده شيء قط أحلى مِن ذلك ولا ألذ ولا أطيب»[4].

إذن فَسِرُّ الاعتكاف لزوم الافتقار والانكسار والتذلل لله، والانطراح على عتبات عبوديته سبحانه.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٩٤).
(٢) طريق الهجرتين ص (١٧).
(٣) طريق الهجرتين ص (٥٩).
(٤) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٨٧).

استحضارُ مِنَّة الله وفضله

مِن روائع التربية القرآنية في أوائل الدعوة النبوية ما جاء في مطلع سورة المُدَّثر، عندما أمر الله نبيه ﷺ بالنذارة والدعوة ثم قال له: ﴿ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ﴾ [المُدَّثر: ٦].

إنها الوصية الربانية التي تجرد العبد من الاستعلاء بالعمل، وتملأ قلبه مهابةً وإجلالًا لله، واستحضارًا لمشاهد مِننه التي غمرت حياة العبد، فما من سبيلٍ إلا ولله على عبدِه نعَمٌ، لا يَعدُّها عاد، ولا يُحصيها كتاب.

إنَّ المؤمنَ الحق هو مَن يُديم استحضار مشاهد مِنَنِ ربه عليه؛ لأنها قد طوقت المؤمن طوقًا يملأ الأرض والسماء، فهو الذي أفاض عليه نِعمًا أعلاها نعمة الهداية التي يعجز اللسان عن الوفاء بقدرها، حيث أخرجه ربُّه بها مِن ظُلمةِ الضلال إلى نور الهداية، ومِن لُجةِ الغي إلى رحاب الإيمان، «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ»[١].

لذا عتب الله على مَن غفل عن مشاهدة مِننه، فقال: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ ﴾ [الحجرات: ١٧].

إنها تربية القرآن التي تُطهر القلب من الاستعلاء، وتمحو عنه مسارب[٢] الإدلال[٣]، وتملؤه إجلالًا لله واعترافًا بفضله ومِنَّتِه، كما فقه ذلك أولو الفضل من أمثال عمر رضي الله عنه حينما طُعن وقال له عبدالله ابن عباس رضي الله عنه مواسيًا: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَئِنْ كَانَ ذَاكَ، لَقَدْ صَحِبْتَ

(١) قطعة من حديث قدسي أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٤) رقم (٢٥٧٧).
(٢) المسارب: المراعي التي ترعى فيها الدواب. ينظر: العين (٧/ ٢٤٩).
(٣) الإدلال: المنُّ بالعطاء. ينظر: تهذيب اللغة (١٤/ ٤٨)، لسان العرب (١١/ ٢٤٨).

رَسُولَ الله ﷺ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ، ثُمَّ فَارَقْتَهُ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، ثُمَّ صَحِبْتَ أَبَا بَكْرٍ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ، ثُمَّ فَارَقْتَهُ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، ثُمَّ صَحِبْتَ صَحَبَتَهُمْ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُمْ، وَلَئِنْ فَارَقْتَهُمْ لَتُفَارِقَنَّهُمْ وَهُمْ عَنْكَ رَاضُونَ، قَالَ: «أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ الله ﷺ وَرِضَاهُ، فَإِنَّمَا ذَاكَ مَنٌّ مِنَ الله تَعَالَى مَنَّ بِهِ عَلَيَّ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صُحْبَةِ أَبِي بَكْرٍ وَرِضَاهُ، فَإِنَّمَا ذَاكَ مَنٌّ مِنَ الله جَلَّ ذِكْرُهُ مَنَّ بِهِ عَلَيَّ، وَأَمَّا مَا تَرَى مِنْ جَزَعِي فَهُوَ مِنْ أَجْلِكَ وَأَجْلِ أَصْحَابِكَ، وَالله لَوْ أَنَّ لِي طِلَاعَ الأَرْضِ[1] ذَهَبًا لَافْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ عَذَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ، قَبْلَ أَنْ أَرَاهُ»[2].

إنَّ استحضارَ مشهد مِنَّة الله يُزيلُ مِن القلبِ منابتَ العُجب، ويغسله مِن درن الإدلال، ويُطهره مِن الدنس ليكون وعاءً نظيفًا يتزكى بالإيمان، ويرتفع بأعمال القلوب، وينتفع بأعمال الجوارح، أما إذا وُجدت هذه الأعمال مع شوائب العُجب والإدلال بالعمل، فإنها تَسحقُ قلبَ صاحبها سحقًا، فلا تُبقي فيه خيرًا ولا تذر، ومِنْ ثَمَّ قال الله لمن أدلَّ بعمله، «قَدْ غَفَرْتُ لِفُلانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»[3].

إنَّ إعجابَ المرء بعمله وإدلاله به سقطة مِن أشنع السقطات وأقبحها، إنه محرقةٌ للطاعات، ومَنبِتٌ للرذائل وشتى الأدواء والآفات.

وكان السلفُ يحاذرون العُجب ويفرون منه، قال مطرف بن عبدالله بن الشخير: «لأنْ أبيتَ نائمًا وأُصبحَ نادمًا، أحبُّ إلي مِن أنْ أبيتَ قائمًا فأُصبح مُعجبًا»[4].

«إنك أنْ تبيتَ نائمًا وتُصبح نادمًا، خير مِن أنْ تبيتَ قائمًا وتُصبح

(١) طِلَاعُ الأَرْضِ: ملؤها. ينظر: جمهرة اللغة (٢/ ٩١٥)، والصحاح (٣/ ١٢٥٤).
(٢) أخرجه البخاري (٥/ ١٢) رقم (٣٦٩٢).
(٣) حديث قدسي أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٢٣) رقم (٢٦٢١)، من حديث جندب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، عن ربه.
(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/ ١٥١) رقم (٤٤٨)، وأحمد في الزهد ص (١٩٥) رقم (١٣٤٢)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٠٠).

مُعجبًا، فإنَّ المُعجب لا يصعد له عمل، وإنك أنْ تضحك وأنت معترف، خير مِن أنْ تبكي وأنت مُدِلٌّ، وأنين المذنبين أحب إلى الله مِن زجل[1] المسبحين المدلين»[2].

فأَوقِدْ أيها المُعْتكِف في ذهنك شرارة الشعور بمنة الله وتزكيته لك، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور: ٢١].

(١) يقال: سمعتُ زَجَل القوم أي أصواتهم. والمراد تسبيح المسبحين. ينظر: البارع في اللغة (ص: ٦٣٧)
(٢) مدارج السالكين (١/ ١٩٥).

الاعترافُ بالذنب والتقصير

إنَّ لمحةً خاطفةً، وتأملًا سريعًا في ابتهالات الأنبياء والصالحين ومناجاتهم وأدعيتهم، يكشفُ لك سرًّا يكتنفها، ألا وهو اشتمالها على الاعترافِ بالذنب والظلم، وإليك سِجلًا وصفحاتٍ مشرقةً من اعترافهم بالذنب والظلم:

فهذا آدم وحواء يدعوان: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف: ٢٣].

وهذا موسى عليه السلام -وهو مِن أُولي العزم مِن الرسل- يدعو: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٦﴾ [القصص: ١٦]، وهذا يونس عليه السلام يبتهل إلى ربِّه ويُناجيه معترفًا بذنبه بل بكونه مِن الظالمين، ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وحينما استرشد الصديق رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: علمني دعاء أدعو به في صلاتي، قال: «قُل: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ»(١).

إنها التربية النبوية التي تحدُّ مِن استعلاء العبد، وتجعله دائم الافتقار لربه، دائم الانكسار بين يديه مستحضرًا ذنوبه بين عينيه، وإذا كانت هذه هي وصية النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه وهو مَنْ هو فضلًا وإمامةً

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٦٦) رقم (٨٣٤)، ومسلم (٤/ ٢٠٧٨) رقم (٢٧٠٥) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وجلالة ونصرةً لدينه وذبًّا عن نبيه؛ فكيف يكون حالنا ونحن المذنبون المفرطون؟!

فالزمْ أيها المُعْتكِف هذا المشهد، معترفًا بذنبك، مقبلًا على ربك، متيقنًا من قلبك أنَّك مِن الظالمين، واجعل هذه الدعوات المباركة على لسانِك في كلِّ أحوالك، واحذرْ أن تَنْبِسَ[1] بها بشفتيك، وقلبُك مِن الاعتراف بها خالٍ، فإنَّ حقيقةَ الصدق أنْ يُواطِئ القلبُ ما يجري به اللسان.

(١) يقال: نَبَسَ نَبْسًا، أي: تكلم وحرك شفتيه، وتكلم بأقل الكلام. ينظر: المحكم والمحيط (٨/ ٥٣٠)، لسان العرب (٦/ ٢٢٥).

الإقبالُ على اللهِ بُمداومةِ الذِّكر

إنَّ استدامةَ ذكرِ الله واستغفارِه والثناءِ عليه مشهدٌ من مشاهد عكوفِ القلب وصحته وصفائه وبلوغه معالي الدرجات الإيمانية ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد: ٢٨].

إنَّ ذكر الله تعالى يَعمُرُ القلب ويملؤه نورًا وسرورًا، بل إنَّ القلبَ بفقده يكون في ظلامٍ وظُلمة؛ لأنَّ «في القلبِ خلة وفاقة لا يسدها شيء البَتَّة إلا ذكر الله عز وجل، فإذا صار شعار القلب، بحيث يكون هو الذاكر بطريق الأصالة واللسان تبع له، فهذا هو الذِّكر الذي يسد الخلة ويفني الفاقة، فيكون صاحبه غنيًّا بلا مال، عزيزًا بلا عشيرة، مهيبًا بلا سلطان، فإذا كان غافلًا عنْ ذِكر الله عز وجل فهو بضد ذلك، فقير مع كثرة جِدَتِه، ذليل مع سلطانه، حقير مع كثرة عشيرته»[1].

وقلبُ المؤمن لا يسكنُ ولا يلتذ ولا يجد للحياة مذاقًا وأُنسًا إلا بذكر الله، ولقد وصف الله أهل الإيمان وأولي الألباب بأنهم: ﴿يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [آل عمران:١٩١].

فهذا هِجِّيراهُم: اللهج بذكر الله وهم قيام، واللهج بذكره وهم قعود، واللهج بذكره وهم على فرشهم وعلى جنوبهم، تعلقت قلوبهم بالله فاستداموا الذكر في جميع الأحوال.

يا الله، كم هي لفتة قرآنية مؤثرة!! ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾؛ فهم مِن شدة تعلقهم بالله يذكرونه في هذه الحال التي هي مَظِنَّة شرود أو غفلة أو نَصَب،

(١) الوابل الصيب ص (١٣٩- ١٤٠).

لكنْ هؤلاء قومٌ وصل بهم التعلق الشديد بالله سبحانه ألَّا ينسوه في هذه الحال التي يستحكم فيها الذهول غالبًا.

إنه قلب رسخ فيه الإيمان واستمكن، فأحدث ذلك أثرًا في اللسان بحركة دائبة في الذِّكر، حين القيام، والاضطجاع، والقعود، وحين الدخول والخروج، وحين الأكل والشرب، وحين اليقظة وعند النوم، وفي الحضر والسفر، وفي الليل والنهار، فهو دائم الافتقار إلى الله والتعلق به لا يغفل ساعة ولا أدنى من ذلك، فإنْ غفل أو توانى وَجَدَ ثقلًا في النفس، وشعورًا بالنقص لا يَسدُّه إلا مراجعة المسار، وعود القلب إلى مَعينِه ونَعيمِه، ومِنْ ثَمَّ تسطع أنواره، وتتهلل سبحات وجهه.

قال النبي ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى الله، فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ»(١)، وفي رواية: «إِنَّهُ لَيُغَانُ(٢) عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»(٣).

وقال ﷺ: «وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»(٤).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أَنَّ فَاطِمَةَ ف أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ تَسْأَلُهُ خَادِمًا، فَقَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكِ مِنْهُ؟ تُسَبِّحِينَ اللهَ عِنْدَ مَنَامِكِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدِينَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتُكَبِّرِينَ اللهَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ»، قَالَ

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٧٥) رقم (٢٧٠٢) (٤٢) من حديث الأغر المزني رضي الله عنه.

(٢) قال النووي في شرحه على صحيح مسلم (١٧/ ٢٣-٢٤): «قوله ﷺ: «إنه ليغان على قلبي» قال أهل اللغة: الغين -بالغين المعجمة- والغيم بمعنى، والمراد هنا: ما يتغشى القلب، قال القاضي: قيل: المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شأنه الدوام عليه، فإذا فتر عنه أو غفل عدَّ ذلك ذنبًا واستغفر منه، قال: وقيل هو همه بسبب أمته وما اطلع عليه من أحوالها بعده فيستغفر لهم، وقيل: سببه اشتغاله بالنظر في مصالح أمته وأمورهم ومحاربة العدو ومداراته وتأليف المؤلفة ونحو ذلك، فيشتغل بذلك من عظيم مقامه فيراه ذنبا بالنسبة إلى عظيم منزلته... ».

(٣) أخرجها مسلم أيضًا (٤/ ٢٠٧٥) رقم (٢٧٠٢) (٤١).

(٤) أخرجه البخاري (٨/ ٦٧) رقم (٦٣٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عَلِيٌّ: «مَا تَرَكْتُهُ مُنْذُ سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، قِيلَ لَهُ: وَلَا لَيْلَةَ صِفِّينَ؟ قَالَ: وَلَا لَيْلَةَ صِفِّينَ»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «إِنِّي لَأُسَبِّحُ كُلَّ يَوْمٍ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً أَلْفَ تَسْبِيحَةٍ، قَدْرَ دِيَتِي»[٢].

وذكر الحافظ عبد الغني في «الكمال» في ترجمة أبي الدرداء رضي الله عنه، أنه كان يُسبح في اليوم مائة ألف تسبيحة[٣].

إنَّ الله عز وجل لم يأمرْ أهل الإيمان بالذِّكر فحسب، بل أمرهم بالإكثارِ منه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢]، وقال عز وجل: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠﴾ [الجمعة: ١٠]، وأبان النَّبيُّ ﷺ أنَّ المكثرين مِن ذِكرِ الله هم أسبق الناس إلى الأجور، فقال ﷺ: «سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ» قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ»[٤]، والمُفرِّدُون جمع: مُفرِّد، والمراد به المنفرد والمنقطع إلى الله بقلبه ولسانه لكثرة ذكره.

ولجلالة منزلة الذِّكر وعظيم أثره، كان روحَ الأعمال وأكبرها كما قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ۝٤٥﴾ [العنكبوت: ٤٥][٥].

ولا شيء يُذَلِّل اللسانَ ويُرطبه، ويَصقل الإيمان ويَرفعه؛ كذكر الله عز وجل، ولا سِيما مَن حَافَظَ على أورادٍ مِن الأذكار يَعْمُر بها اللحظات، ويُحيي بها القلب، وقد توارد الصالحون وتوافقوا على أنَّ ذلك هو سلاح المؤمن الذي يَخرق حُجُب الغفلة، ويفتح أقفال القلب في كل عصر، فكيف

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٦٥) رقم (٥٣٦٢)، ومسلم (٤/ ٢٠٩١) رقم (٢٧٢٧).
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٤٥) رقم (٢٦٧٣٣)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٤/ ١٨٩١)، رقم (4762).
(٣) ينظر: الحاوي للفتاوي للسيوطي (٢/ ٥)، وشذرات الذهب (٢/ ١١٨).
(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٦٢)، رقم (٢٦٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٥) على خلاف بين المفسرين في معنى الآية، ولكن هذا أحد الأقوال.

بعصرٍ تشابكت فيه عاديات الزمان وصوراف الأيام؟!.

تلوحُ في ليالي العشر -عبر نسمات الأسحار، وعبق الاستغفار- فرصةٌ ثمينةٌ لإصلاحِ القلب: حيث الصَّفاء والسَّكينة ولحظات التنزل الإلهي.

إنَّ هذا الصفاء كما يُجدد الإيمان، فإنَّه يُجددُ البراءةَ مِن النفاق، فأهلُ النِّفاق هم أكثر الناس غفلةً وأقلهم ذِكرًا لله، ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢﴾[النساء: ١٤٢]، والواجبُ على المؤمن أنْ يخالفَ المنافقين بكثرةِ ذكر الله، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «مَن أكثر مِن ذكر الله؛ بَرِئ من النِّفَاق»(١).

فرطِّبْ لسانَك -أيها المُبارك- بذكر الله، فلا شيء أصلح للقلب من ذلك، ولا شيء يُثقِّل الميزان يوم القيامة كالذِّكر.

(١) ينظر: لسان الميزان (١٩٥٥).

الإقبالُ على الله بكثْرة الدُّعاء

إنَّ مِن أَجَلِّ العبادات التي يظهر فيها ذُلُّ العبد بين يدي ربِّه: الدعاء، قال الله تعالى: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً ﴾ [الأعراف: ٥٥]، وقال: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ ﴾ [الأنبياء:٩٠].

إنَّ عبادةَ الدعاء في العشرِ الأخير مِن رمضان حينما يكون العبد عاكفًا، لها مذاق يعرفه المتضرعون المنكسرون بين يدي الله، الباكُون المتباكون، حيث يستشعرون القرب مِن مولاهم والوعد بالإجابة، ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وفي مجيء هذه الآية الكريمة في سياق الصيام مُتَخَلِّلة بينه وبين ذكر الاعتكاف، لفتة عظيمة إلى بيان منزلة عبادة الدعاء حينما يكون العبد صائمًا عاكفًا.

إنها عبادة تتألق في هذه الليالي التي ينكسر فيها العبد، فيَرِقُّ القلب، وتَرِفُّ الروح، فتجف الشهوات وتنكسر النفس، ويكون ذلك تأهيلًا للعبد لأن يكون مُستجيبًا لله، ﴿ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي ﴾ فيستجيب الله له، فإجابة الدعاء تقترن دائمًا بانكسار القلب وضعف النفس وتَحَرُّرِها من ضغوط الشهوات، وهذا لا يتوافر في حال مِن أحوال الإنسان بقدر توافره في حال الصيام والاعتكاف(١).

وهذا الموطن كبقية المواطن التي يُستحبُ فيها استكانة العبد وانكساره بين يدي ربه، أخرج الطبراني مِن حديث ابن عباس رضي الله عنه قال:

(١) ينظر: روح الصيام ومعانيه ص (١١٦).

«رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَدْعُو بِعَرَفَةَ، وَيَدَاهُ إِلَى صَدْرِهِ كَاسْتِطْعَامِ الْمِسْكِينِ»(١).

وقد كان بعض الصالحين يجلس بالليل ساكنًا مُطرِقًا برأسه، يَمُدُّ يديه كحالِ السائل، وهذه من أكمل هيئات الذل والسكينة، والافتقار إلى الله.

وافتقار القلب في الدعاء، وانكساره لله ﷻ، واستشعاره شدة الفاقة إليه والحاجة لديه مظنة إجابة، وعلى قدر هذه الحرقة والفاقة تكون الإجابة.

جاء في «جامع الترمذي» وغيره عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ»(٢).

ومِن جميلِ أحوال الدعاء: إظهار الذُّل باللسان في نفس السؤال مع الإلحاح فيه، قال الأوزاعي رحمه الله: «يُقَالُ أَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْإِلْحَاحُ عَلَى اللهِ وَالتَّضَرُّعُ إِلَيْهِ»(٣).

وعند الطبراني بسندٍ فيه اختلاف عن ابن عباس رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ دعا يوم عرفة فقال: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَسْمَعُ كَلَامِي، وَتَرَى مَكَانِي، وَتَعْلَمُ سِرِّي وَعَلَانِيَتِي، لَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِي، أَنَا الْبَائِسُ الْفَقِيرُ الْمُسْتَغِيثُ الْمُسْتَجِيرُ الْوَجِلُ الْمُشْفِقُ الْمُقِرُّ الْمُعْتَرِفُ بِذَنْبِهِ، أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمِسْكِينِ، وَأَبْتَهِلُ إِلَيْكَ ابْتِهَالَ الْمُذْنِبِ الذَّلِيلِ، وَأَدْعُوكَ دُعَاءَ الْخَائِفِ الضَّرِيرِ، مَنْ خَشَعَتْ لَكَ رَقَبَتُهُ، وَفَاضَتْ لَكَ عَيْنَاهُ، وَذَلَّ لَكَ جَسَدُهُ وَرَغِمَ أَنْفُهُ لَكَ، اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي بِدُعَائِكَ شَقِيًّا، وَكُنْ بِي رَءُوفًا رَحِيمًا، يَا خَيْرَ الْمَسْئُولِينَ وَيَا خَيْرَ الْمُعْطِينَ»(٤).

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣/ ١٨٩) رقم (٢٨٩٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٢١٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ١٩٠)، وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٩٤) رقم (٣٤٧٩)، والطبراني في الأوسط (٥/ ٢١١) رقم (٥١٠٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٧٠) رقم (١٨١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال الترمذي: «حديث غريب».

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٦٤)، وينظر: التمهيد لابن عبد البر (٥/ ٣٤٦).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ١٧٤) رقم (١١٤٠٥)، وفي الدعاء ص (٢٧٤) رقم (٨٧٧)، وفي إسناده ضعف.

إذنْ فالدعاءُ هو لُب التَّعبد، وخالص العِبادة؛ لما ينطوي عليه مِن الافتقار التام لله، والذُّل بين يديه، وهو أنفع عبوديات القلب وأكثرها تأثيرًا فيه، ولا سيما إذا حضر قلب الداعي، واستحضر معاني ما يدعو به، فإذا كانت تلك الدعوات والابتهالات مما أخبر الله ﷻ به مِن أدعيةِ صفوةِ خلقه كانت أنجع شيءٍ للقلب؛ لما تشتمل عليه مِن مجامع الدعاء، وصدق التذلل، واستحضار معاني الربوبية؛ ولهذا كان الأنبياء يُصدِّرون أدعيتَهم بقولهِم: «ربَّنا».

وأكثر أدعية القرآن كذلك، تأتي مُصدَّرة بالتوسل إلى الله بربوبيته، والدَّاعي حينما يدعو الله مُتوسلًا بربوبيته يَحسن له استحضار معنى تربية الله العامة، وهي: الخلق والتدبير، ومعنى التربية الخاصة، وهي: ولايته لخيار خلقه، ولطفه بهم وإصلاحه لدينهم ودنياهم، وذلك لإقبالهم على ربهم، وضراعتهم بين يديه.

ويُستحبُّ له أنْ يدعو بأدعيةِ الأنبياء؛ فإنها أدعيةٌ جامعةٌ، ويَحسُنُ بالداعي أنْ يدعو بدعاء الراسخين في العلم؛ لأنه سبحانه حينما أثنى عليهم ذكر دعوتهم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۝٨﴾ [آل عمران: ٨].

فتوسلوا إلى الله بربوبيته أنْ يمنحَهم استقامة القلوب وثباتها على مراضي الله، وحفظها مِن الزيغ، والنكوص عن الهداية[١].

---

(١) ينظر: المواهب الربانية من الآيات القرآنية للسعدي ص (٥٦-٥٨).

السِّمةُ الحادية عشرة

الإخبات والخشوع(١)

إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ مدحَ في كتابِه المُخبتين له، والمنكسرين لعظمته، والخاضعين لكبريائه، فقال سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٣٤، ٣٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾ إلى أنْ قال: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥].

ووصفَ المؤمنين بالخشوع له في أشرف عباداتهم التي هم عليها يحافظون، فقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١ - ٢].

وأثنى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على أهل الخشية المشفقين من عذاب الله فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧﴾ [المؤمنون: ٥٧]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ۝٤٩﴾ [الأنبياء: ٤٩].

إِذَا مَا اللَّيْلُ أَظْلَمَ كَابَدُوه .... فَيُسْفِرُ عَنْهُمُ وَهُمُ رُكُوعُ
أَطَارَ الْخَوْفُ نَوْمَهُمْ وَقَامُوا .... وَأَهْلُ الأَمْنِ فِي الدُّنْيَا هُجُوعُ

....

وَمَا فُرُشُهُمْ إِلا أَيَامِنُ أُزْرِهِمْ .... وَمَا وُسْدُهُمْ إِلا مُلاءٌ وَأَذْرُعُ
وَمَا لَيْلُهُمْ فِيهِنَّ إِلا تَخَوُّبٌ .... وَمَا نَوْمُهُمْ إِلا عِشَاشٌ مُرَوَّعُ
وَأَلْوَانُهُمْ صُفْرٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ .... عَلَيْهَا جِسَادٌ هِيَّ بِالْوَرْسِ مُشْبَعُ

---

(١) رجب ص (١١-٢٨).

وأصلُ الخشوع: لين القلب ورقته وسكونه وخضوعه، فإذا خشع القلب تبعه خشوع جميع الجوارح والأعضاء؛ لأنها تابعة له، كما قال ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»(١).

فإذا خشعَ القلبُ خشعَ السمعِ والبصر والوجه وسائر الأعضاء، وما ينشأ منها حتى الكلام، ولهذا كان النبي ﷺ يقول في ركوعه في الصلاة: «خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصَبِي»(٢).

ورأى بعض السلف رجلًا يعبث بيده في الصلاة، فقال: «لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا؛ لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ»(٣).

وقد وصف الله تعالى في كتابه الكريم الأرض بالخشوع فقال:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [فُصِّلَت: ٣٩]، فاهتزازها ورُبُوُّها -وهو ارتفاعها- مزيل لخشوعها، فدلَّ عَلَى أنَّ الخشوعَ الَّذِي كانت عليه هو سكونها وانخفاضُها، فكذلك القلب إذا خشع فإنه تسكن خواطره وإراداته الرديئة، التي تنشأ من اتباع الهوى فينكسر ويخضع لله عز وجل.

فيزول بذلك ما كان فيه من البَأْو(٤) والترفع والتكبر والتعاظم، ومتى حصل ذلك في القلب خشعت الأعضاء والجوارح والحركات كلها حتى الصوت، وقد وصف الله تعالى الأصوات بالخشوع في قوله: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ١٠٨﴾ [طه: ١٠٨]، وخشوع الأصوات هو سكونها وانخفاضها بعد ارتفاعها.

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٠) رقم (٥٢)، ومسلم (٣/ ١٢١٩) رقم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم (١/ ٥٣٤) رقم (٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٨٦) رقم (٦٧٨٧)، وابن المبارك في الزهد (١/ ٤١٩) رقم (١١٨٨)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢/ ٢٦٦) رقم (٣٣٠٨) من قول سعيد بن المسيب رضي الله عنه.
(٤) البَأْو: المراد به الفخر. ينظر: الصحاح (٦/ ٢٢٧٨)، مقاييس اللغة (١/ ٣٢٨)، النهاية في غريب الحديث (١/ ٩٦) (بأو).

وينبغي أنْ يكونَ الخشوعُ حقيقةً لا تكلفًا، ومتى تكلَّف الإنسان تعاطِيَ الخشوع في جوارحه وأطرافه -مع فراغ قلبه مِن الخشوع وخُلوِّه منه- كان ذلك خشوعَ نفاقٍ، وهو الَّذِي كان السلف يستعيذون منه كما قال بعضهم: «اسْتَعِيذُوا بِالله مِنْ خُشُوعِ النِّفَاقِ. قَالُوا: وَمَا خُشُوعُ النِّفَاقِ؟ قَالَ: أَنْ تَرَى الْجَسَدَ خَاشِعًا وَالْقَلْبُ لَيْسَ بِخَاشِعٍ»[1].

والخشوعُ الحق هو ما أحدثَ أثرًا وتأثيرًا، ورقة في القلب، كما ذكر الله في وصف العُلَماء مِن أهلِ الكتاب قبلنا، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ١٠٧﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

وهذه الآيات تضمنت امتداح مَن أوجبَ لهم سماعُ آيات الله تأثرًا وخشوعًا وبكاءً، وبالضد من ذلك توعد سبحانه قساة القلوب، فقال ﷻ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٢٢ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزُّمَر: ٢٢-٢٣]، ولين القلوب هو زوال قسوتها لحدوث الخشوع فيها والرقة.

وقد عاتب الله مَن لا يخشع قلبه لسماع كتابه، فقال تعالى: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ١٦﴾ [الحديد: ١٦].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِنَا وَبَيْنَ أَنْ عَاتَبَنَا اللهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ إِلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ»[2]، وفي رواية: «فَأَقْبَلَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ: أَيُّ شَيْءٍ أَحْدَثْنَا؟! أَيُّ شَيْءٍ صَنَعْنَا؟!»[3] أي: جعل يُعَاتِب بَعضُهم بعضًا.

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/ ٤٦) رقم (١٤٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٢٤٣) رقم (٣٥٧١١)، والإمام أحمد في الزهد ص (١١٧) رقم (٧٦٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩/ ٢٢٠) رقم (٦٥٦٧) موقوفًا على أبي الدرداء رضي الله عنه.
وأخرجه البيهقي في الشعب (٩/ ٢٢٠) رقم (٦٥٦٨) من حديث أبي بكر رضي الله عنه مرفوعًا، وإسناده ضعيف.
(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٣١٩) رقم (٣٠٢٧).
(٣) أخرجها أبو يعلى في مسنده (٩/ ١٦٧) رقم (٥٢٥٦)، وهي زيادة ضعيفة.

أَمَّا عظمة القرآن وسطوة أثره على نفوس المؤمنين الخاشعين فشيءٌ قد شهد به السلفُ رحمهم الله، قال أبو عمران الجوني رحمه الله: «والله لقد صَرَّفَ إلينا ربُّنا في هذا القرآن ما لو صَرَّفه إِلَى الجبال لمحاها وحناها»(١).

وكان مالك بن دينار رحمه الله يقرأ هذه الآية ثم يقول: «أُقْسِمُ لَكُمْ لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ بِهَذَا الْقُرْآنِ إِلَّا صُدِعَ قَلْبُهُ»(٢).

ورُوي عن الحسن رحمه الله أنه قال: «يا ابن آدم إذا وسوس لك الشيطان بخطيئة، أو حَدَّثْت بها نفسَك، فاذكر عند ذلك ما حَمَّلك الله من كتابه، مما لو حَمَلَته الجبال الرواسي لخشعت وتصدعت، أما سمعته يقول: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر: ٢١]»(٣).

والله سبحانه إنَّما ضرب لك الأمثال لتتفكر فيها، وتعتبر بها وتزدجر عن معاصيه عَزَّ وَجَلَّ، وأنت يا ابن آدم أحق أنْ تخشعَ لذكرِ الله، وما حَمَّلك مِن كتابِه وآتاك مِن حكمة؛ لأنَّ عليك الحساب ولك الجنَّة أو النار.

وقد كان النبيُّ ﷺ يستعيذُ بالله مِن قلبٍ لا يخشع، كما في حديث زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا»(٤).

ولذلك شرع الله تعالى لعبادِه مِن أنواع العبادات ما يَظْهر فيه خشوع الأبدان، الناشئ عن خشوعِ القلب وذله وانكساره، ومن أعظم ما يظهر فيه خشوع الأبدان لله تعالى مِن العبادات الصلاة، وقد مدح الله تعالى

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٣١١)، وينظر: الخشوع في الصلاة لابن رجب ص (١٩).
(٢) أخرجه الإمام أحمد في الزهد ص (٢٥٨) رقم (١٨٥٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٣٧٨).
(٣) ينظر: الخشوع في الصلاة لابن رجب ص (١٩).
(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٨٨) رقم (٢٧٢٢).

الخاشعين فيها بقوله ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢].

ومِن مواضع الخشوع: السجود، وهو أعظم ما يَظهر فيه ذُلُّ العبد لربِّه ﷻ، حيث يجعل العبد أشرف ما له مِن الأعضاء، وأعزها عليه وأعلاها أوضع ما يمكنه، فيضعه في التراب مُتعَفِّرًا، ويتبع ذلك انكسار القلب وتواضعه وخشوعه لله ﷻ.

ولهذا كان جزاء المؤمن إذا فعل ذلك أن يُقربه الله ﷻ إِلَيْهِ، قال الله تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾ [العلق: ١٩]، وقال ﷻ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ»(١).

والسجود كان مما يأنف منه المشركون المستكبرون عن عِبادةِ الله ﷻ، وكان بعضُهم يقول: أكره أنْ أسجدَ فتعلوني استي، وكان بعضُهم يأخذُ كفًّا مِن حصى، فيرفعه إلى وجهه، ويكتفي بذلك عنْ السجود(٢).

وإبليسُ إِنَّمَا طردَه الله لما استكبرَ عن السجود لِمَنْ أمره الله بالسجودِ له؛ ولهذا يبكي إذا سجدَ المؤمن ويقول: أُمِرَ ابن آدم بالسجود ففعل فله الجنة، وأُمرتُ بالسجود فعصيتُ فلي النار(٣).

ومِن تمامِ خشوع العبد لله ﷻ وتواضعه له في ركوعِه وسجوده، أنه إذا ذَلَّ لربِّه بالركوع والسجود وصفَ رَبَّه حينئذ بصفات العِزِّ والكبرياء والعظمة والعلو، فكأنه يقول: الذلُّ والتواضع وصفي، والعلو والعظمة

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٣٥٠) رقم (٤٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرج البخاري (٢/ ٤٠)، رقم (١٠٦٧)، ومسلم (١/ ٤٠٥) رقم (٥٧٦) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قرأ ﴿والنجم﴾ فسجد فيها، وسجد من كان معه، غير أن شيخا أخذ كفا من حصى أو تراب فرفعه إلى جبهته، وقال: يكفيني هذا، قال عبد الله: «لقد رأيته بعدُ قُتِل كافرا».

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٨٧) رقم (٨١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأ ابنُ آدم السجدة فسجد اعتزلَ الشيطانُ يبكي، يقول: يا ويلي، أُمر ابن آدمَ بِالسُّجُود فَسجد فلهُ الْجنة، وأُمرتُ بالسجود فأبيتُ فليَ النارُ».

والكبريـاء وصفـك، فلهـذا شُرِع للعبـد في ركوعِـه أنْ يقـول: سـبحان ربي العظيـم، وفي سـجودِه: سـبحان ربي الأعـلى.

فمتى امتـلأَ قلـبُ العبـدِ خشـوعًا وإخباتًـا، وخضوعًـا وانكسـارًا، وصـلَ إلى لُـبِّ العبـادة، وحقـق مقصودهـا، ونـالَ غايتهـا.

وختامًا:

فهـذه إحـدى عـشرة سِـمة، مِـن خلالهـا يتوصـل المُوفـق إلى روح الاعتـكاف ولُبِّـه ومقصودِه، وهـذه الغاية ليسـتْ في الاعتـكافِ فحسـب، بـل في العبـاداتِ أجمـع.

وهبنـي الله وإيـاك دوام الصـدق، وامتـنَّ عـليَّ وعليـك بلـزوم الافتقـار إليـه، والانكسـار بـين يديـه، ووفقنـا لـدوامِ عُكـوفِ القلـوبِ والإقبـالِ عليـه، نعـوذُ بـالله مِـن الـذلِّ إلا لـه، ومِـن الانكسـارِ إلا بـين يديـه، ومِـن الالتجـاءِ إلا إليـه، ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هـود: ٨٨].

د/ عبدالرحمن بن عبدالعزيز العقل

بريدة - القصيم - ٥/ ٩/ ١٤٣٥هـ

للتواصل:

جوال: ٠٥٠٤٨٨٣٩٨٨ - ٠٥٣٥٦٠٠٠١٣

بريد إلكتروني: al_khaleefa@hotmail.com al.agal@hotmail.com

فهرس الموضوعات

مقدمة.	٥
السِّمةُ الأولى: قطعُ العلائِق عن الخلائِق.	٧
السِّمةُ الثانية: العيشُ مع القرآن.	١٠
السِّمةُ الثالثة: جمعيةُ القلبِ وصدقُ إقباله.	٢١
السِّمةُ الرابعة: استشعارُ مَعيَّة الله لعبده.	٢٣
السِّمةُ الخامسة: تعظيمُ الله تعالى.	٢٥
السِّمةُ السادسة: افتقارُ العبد إلى ربِّه وشعورُه بالحاجة إليه.	٣٠
السِّمةُ السابعة: استحضارُ مِنة الله وفضله.	٣٤
السِّمةُ الثامنة: الاعترافُ بالذنبِ والتقصير.	٣٨
السِّمةُ التاسعة: الإقبالُ على اللهِ بمُداومة الذِّكر.	٤١
السِّمةُ العاشرة: الإقبالُ على اللهِ بكثرةِ الدُّعاء.	٤٧
السِّمةُ الحادية عشرة: الإخباتُ والخشوع.	٥٢
خاتمة.	٦٢

نخب
NOKHAB

مركز النخب العلمية
القصيم - بريدة
حي النهضة - طريق عثمان بن عفان

جـــوال:
0535600013
0535100013